

الترجمة والسميويات: ترجمة الرمز على خطى أمبيرتو إيكو

Translation and Semiotics: Translating the Symbol in the Method of Umberto Eco

يامنة زميط¹

Yamna ZMIT¹

¹جامعة الجزائر 2 (الجزائر) ، yamna.zmit@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2022/12/24

تاريخ القبول: 2022/11/18

تاريخ الاستلام: 2022/09/16

ملخص:

تشكل مظاهر الممارسة اليومية للإنسان موضوعاً للسميويات، سواء عبّر عنها بعلامات لسانية أو غير لسانية، إذ أن كل أشكال التواصل الإنساني هي في الأصل اشتغال لعلامات حاملة لدلالات تخبرنا عن موقف ما أو عن تجربة ما أو عن ثقافة ما وتكشف لنا عن هويتها. يثير منهج المفكر والمترجم الإيطالي أمبيرتو إيكو، المبني على التحليل السيميائي، الكثير من المسائل النظرية التي عني بها حقل الترجمة، كالمهية والمحتوى والسياق، ويستند إلى النتائج المستقاة من التجارب التطبيقية، ليصل في الأخير إلى منهجية متكاملة، تقوم على جمع عدد من الفرضيات التي تحدد الأبعاد المحتملة للنتائج المتحصل عليها، وهي دون شك إضافة إلى حقل الترجمة الواسع. الكلمات المفتاحية: السيميويات، الترجمة، الرمز، العلامة، المعنى.

Abstract:

All aspects of human daily practice constitute a subject of semiotics, whether expressed by linguistic or non-linguistic signs. All forms of human communication are originally a work of signs bearing indications that tell us about a situation or about a certain experience or about culture, and reveal to us one's identity. The approach of the Italian translator and theorist Umberto Eco, which is based on semiotic analysis, raises many theoretical issues that concern the field of translation as essence, content and context.

Keywords: Semiotics; Translation; Symbol; Sign; Meaning.

1. مقدمة:

الترجمة نقل، أي سفر للكلمات والاستعمالات وللأفكار والإبداعات الفنية والأدبية، والأدب بدوره متعدد الأبواب والمذاهب والتيارات والتأثيرات. والترجمة الأدبية هي ترجمة الأدب بفروعه المختلفة، مثل الشعر والقصة والمسرح وما إليها، وهي تشترك مع الترجمة بصفة عامة.

تزخر النصوص الأدبية بعدد المميزات الثقافية والحضارية والإيديولوجية، مما يجعل منها مرآة تعكس ثقافة الشعوب وحضارتها، وهو ما يحتم على المترجم أن يكون على معرفة بثقافة اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، زيادة على معرفته اللغوية طبعاً، وقضية صعوبة الترجمة الأدبية تُطرح بحدة أكبر في مجال الترجمة الشعرية نظراً لخصوصية التعبير الشعري. فالنص الشعري ليس كغيره من نصوص النثر، إذ هو خاص في مجاله وطابعه، وله مقتضيات غير تلك التي تحكم النص النثري في الجمل، من محور وقوافي وعروض وضرورات شعرية وموسيقى داخلية وأخرى خارجية، ناهيك عن خصوصية التعبير الشعري الشعورية والوجدانية، الأمر الذي أدى ببعض مترجمي النص الشعري إلى نقله نثراً لتعذر ترجمته شعراً، ولعل الالتزام بحرفية البنى الشعرية رغم عدم ملاءمتها في بعض الأحيان مع نظام اللغة المنقول إليها هو الحل الأنسب بالنسبة إلى المترجم، بغض النظر عن مدى حرفيته وخبرته في مجال الترجمة، وذلك لأن مترجم الأدب عامة والشعر خاصة مهياً دائماً للدخول في أجواء النص والتوغل في ثقافته.

منح الشعراء اللغة الشعرية دلالات وإيحاءات رمزية تجعل أعمالهم الأدبية تحمل أبعاداً فنية وجمالية راقية، إذ يعد الرمز الوسيلة الأنجع لتحقيق هذه الغايات الإبداعية البعيدة، بحيث يصبح الرمز قادراً على الوصول إلى مستويات عميقة من المعاني وآفاق عالية من الدلالة، لا يمكن إدراكها عن طريق غيره من الأساليب التعبيرية الأخرى. ويحدث هذا عن طريق اتصاله بل وتفاعله مع عناصر أخرى تحيط به داخل نص القصيدة، كالسياق والاستعمال والأبعاد الزمنية والمكانية، أو كما يسميه أمبيروتو إيكو العالم الممكن، بحيث تقدم لنا هذه العناصر صوراً معرفية، ذات حدود موسوعية عميقة، تتجاوز الحالات السطحية والظاهرة إلى الحالات الأخرى الممكنة والمتمثلة والمستترة خلف الدلالات الرمزية ذات الأبعاد الإيجابية غير المباشرة. إنه عالم واسع من العلامات المشتغلة فيما بينها وفق مستويات عديدة تتشكل عن طريق التفاعل التأويلي الذي ينتج بين القارئ والنص، أو بين القارئ وصاحب النص، وظروفه، وحيثيات قصيدته، وغيرها من المكونات الدلالية الأخرى، التي تجعل الرمز يحيل في استعماله وسياقه وداخل قصيدته إلى فكرة ما جالت بخاطر الشاعر أثناء لحظة شعورية ما جعلته يخرجها إلى بر الشعر رمزا.

والحقيقة أنني واجهت الكثير من المواقف الصعبة والمشكلات الترجمة المتعلقة بالشكل والمعنى، أثناء تجرّبي الخاصة بترجمة الشعر، سواء تعلق الأمر بنقلي لقصائد لبعض من الشعراء العرب، أو نقلي لبعض من أعمال الشعرية الخاصة، وعلى الرغم من كون ذلك كان صعباً ومرهقاً إلا أنه كان جميلاً وشيقاً.

ولعل منهج التفاوض حول الترجمة للمفكر واللساني والمترجم أمبيرتو إيكو، هو من أكثر المناهج نجاعة للتصدي لترجمة الرمز في الأدب، فهو يتبع مساراً سيميائياً تأويلياً يتناول اللفظة بالشرح والتحليل، وذلك بغية الوقوع على مساحة دلالية محددة يرسمها المكافئ في نص الترجمة. إن دراسة الرمز وفق منهج سيميائي؛ يمكننا من الوقوع على المعاني لحظة انزياحها عن وضعها المادي الأصلي واتصالها بعالم لا ينتهي من الدلالات، وكذا دخولها ضمن مسار يحدد اشتغالها ضمن فضاء واسع من الدلالات العميقة وخارج حدود التام والمباشر والمنتهي. كل هذا أوصلنا إلى طرح الإشكالية التالية: ما هي الآفاق السيميائية التي سيصل إليها الرمز عند ترجمته وفق منهج إيكو؟

وقد وضعنا لها فرضيات هي:

- قد يتمكن المترجم من الحصول على ترجمة تقول الشيء نفسه تقريباً المتضمن في الرمز كما جاء في نص الأصل.

- لعل هذا النوع من الترجمة يعطينا نتيجة تغطي الأبعاد الإيحائية غير المباشرة التي يشير إليها الرمز.

- قد يساعدنا منهج إيكو في الوصول إلى بعض الآفاق السيميائية التي يرتقي إليها الرمز في نص الأصل ومحاولة إعطاء مكافئ لها بالاعتماد على التأويل.

وسنعمد في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي الذي سيمكننا من الوقوف على أهم النقاط التي يعنى بها بحثنا، وذلك بإخضاعها للبحث والتمحيص والتحليل. كما سنعمد على منهجية (APA) في إصدارها الخامس لتوثيق المراجع التي اعتمدنا عليها.

2. النظرية السيميائية:

1.2 أصل مصطلح السيميائية وتعريفه:

إن تعدد مصطلحات السيميائية واختلافها من باحث إلى آخر لا ينفي حقيقة كون هذه المصطلحات دالة في عمومها على فكرة واحدة، وإن تعددت مسمياتها، فالأصل يبقى واحداً، وهو النظر إلى العلامة بوصفها إشارة تدل على أكثر من معنى، وهي كذلك تتفق على النظر إلى أنظمة العلامات بوصفها أنظمة رامزة، تعمل وفق نسق واسع من الدلالات.

فمنذ أن أحس الإنسان بانفصاله عن الطبيعة و باختلافه الجذري عن الكائنات الأخرى، بدأ يبتكر أدوات جديدة ومتطورة للتواصل، تتجاوز المستويات البدائية كالصراخ والهرولة والاستعمال العشوائي للجسد، بحيث بدأ السلوك

السيمياي في الظهور، وتبلورت معه أشكال تعبيرية إيمائية ورمزية تستمد قيمتها من العرف والتواضع، وهي الأشكال التي سينظر إليها فيما بعد باعتبارها العلاقة التوسطية بين الإنسان وعالمه الخارجي.

وقد جاء في المعجم الملكي الإسباني Real Academia Española ما يلي:

Semiótica:

Del gr.σημειωτικός *sēmeiōtikós*; en acep. 4,

del gr. σημειωτική *sēmeiōtikē*. **1.** adj. Pertenciente o relativo a la **semiótica**, y al punto de vista adoptado.

2. f. semiología (estudio de los signos en la vida social). **3. f.** Teoría general de los signos. **4. f. Med.** Parte de la medicina que trata de los signos de las enfermedades desde el punto de vista del diagnóstico y del pronóstico. **Semiología:** del gr. σημείον *sēmeíon* 'signo' y *-logía*.

1. f. Estudio de los signos en la vida social. (DRAE, 2001)

إن كلمة سيميولوجيا (**semiología**) أو سيميوطيقا (**semiótica**) مشتقة من الأصل اليوناني (**Semeíon**) كما يشير المعجم الملكي الإسباني، وكما يشير إلى ذلك سيوسير في محاضراته؛ ومن الناحية التركيبية، فهي منحوتة من مفردتين: Semeíon التي تعني علامة، Logos التي تعني العلم أو المعرفة. وهي متعلقة بدراسة العلامات بوصفها نسقا دلاليا داخل الحياة الاجتماعية، أي أنها متعلقة بالسلوك الإنساني داخل الجماعة. وهي متعلقة أيضا بأعراض الأمراض، وصفات العلل التي تصيب جسم الإنسان، كفرع من الدراسات الطبية يساعد على معرفة المرض وشفاء المريض، بحيث لكل مرض علاماته الخاصة الدالة عليه والتي تميزه أيضا عن غيره من الأمراض والعلل الأخرى. وفيما يلي ينقل لنا إيكو رأي دوسوسير حول هذه المسألة:

Según Saussure (1916), 'la lengua es un sistema de signos que expresan ideas y, por esa razón, es comparable con la escritura, el alfabeto de los sordomudos, los ritos simbólicos, las formas de cortesía, las señales militares, etc. Simplemente es el más importante de dichos sistemas. Así pues podemos concebir *una ciencia que estudie la vida de los signos con el marco de la vida social*; podría formar parte de la psicología social y, por consiguiente de la psicología general; nosotros vamos a llamarla semiología (del griego σημειον 'signo'). (U. Eco, 2000, p. 31)

فبحسب تصور دوسوسور، فإن اللغة هي في الأصل عبارة عن نظام كغيره من الأنظمة التواصلية الأخرى، كأبجدية الصم والبكم، والطقوس الرمزية، وأشكال المجاملة والإشارات العسكرية، وهو حسبه، أهم هذه الأنظمة جميعها. وهو هنا يتصور علما يدرس حياة العلامات في إطار الحياة الاجتماعية، يمكن أن تشكل جزء من علم النفس الاجتماعي ومن علم النفس العام، وهو يطلق عليها اسم سيميولوجيا انطلاقا من أصلها اليوناني: ΣΗΜΕΙΟΝ. وليس غريبا أن تركز

الأعمال الفلسفية الكبرى اهتمامها على دراسة العلامة باعتبارها الأداة الأولى التي قادت الإنسان إلى الانفصال عن الطبيعة؛ ليلج عالما فكريا حيث يكتشف طاقاته التعبيرية الجديدة. فالإنسان هو الكائن الوحيد المنتج للدلالات، وهو الكائن الوحيد الذي يجيا بالوسائط، وهو الكائن الوحيد الذي حول الأصوات إلى أشكال حاملة للمعاني، ولهذا ما كان باستطاعته العيش في هذا الكون الكبير دون الاستعانة بالعلامات.

"Les énoncés ne reflètent pas la forme des faits: c'est nous qui, parapprentissage, pensons les faits dans les formes où les énoncés les ont coulés" (U.Eco, 1988, pp. 231-232)

أي أن العبارات لا تعكس شكل الحقائق في الواقع، بل نحن من نحدد هذه الأشكال بحسب الصيغ التي طرحت ضمنها، فالتعبير عن الأشياء ليس وليد اللحظة والمصادفة، بل هو نتيجة للاستعمال المتكرر والاحتكاك المباشر وغير المباشر بالموجودات، فقولنا عن شيء ما أنه جميل هو تعبير عما رأته حاسة البصر جميلا؛ ومقارنة بمفهوم الجمال الذي نملكه داخلنا، من خلال أشياء جميلة موجودة هي الأخرى آتيا أو قبلها أو بعدا، والأمثلة عن ذلك كثير كالقول عن شيء ما أنه بارد مثلا أو خشن أو أملس بفضل الاتصال اللمسي مع هذه الموجودات أو القول عن شيء ما أنه صاحب مثلا أو خافت بفضل حاسة السمع وغيرها.

اقترن مصطلح السيمياء بحركة التأليف عند العرب باكرا، بحيث اقتزنت هذه الدراسات العلاماتية و السيميائية بعدد من العلماء الذين اشتغلوا في ميادين علمية متعددة، ولعل أشهرهم جابر بن حيان (200هـ-815م) الذي كان عظيما بعلمه على الرغم من أن أدوات عصره لم تساعده على بلورة أفكاره وتحقيق ما كان يفكر فيه من خيال علمي على أرض الواقع، ومن تلك الأفكار السائدة في ذلك الزمان فكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينة. وبعد فشله في تحقيق هذا المشروع، تحولت جهود جابر بن حيان نحو علم الكيمياء والذي عرف عنده بعلم السيمياء، والتي كان يقصد بها العلامات الناتجة عن مختلف الظواهر. وقد كان مفهوم هذا العلم في ذلك الوقت قريبا من السحر، وقد انكب العديد من المفكرين المحدثين والمعاصرين على تناول هذه العلوم، نذكر منهم على سبيل المثال صديق القنوجي الذي يقول بهذا الصدد: "السيمياء هي اسم لما هو غير حقيقي من السحر" (القنوجي، 1978، صفحة 392).

أما لغة فهي:

السومة والسيما والسيما: العلامة، وسوم الفرس: جعل عليه السيمة، وقوله عز وجل: ﴿حِجَارَةً مِّنْ سَوْمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾؛ قال الزجاج: روى الحسن أنها معلمة ببياض وحمرة، وقال غيره: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أنها مما عذب الله بها؛ الجوهري: السومة

بالضم العلامة، تجعل على الشاة وفي الحرب أيضا، تقول منه تسوم. قال أبو بكر : قولهم عليه سيما حسنة معناه علامة... والخيل المسومة هي التي عليها السمة والسومة وهي العلامة. وقال ابن الأعرابي: السيم العلامات على صوف الغنم. وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾؛ قرئ بفتح الواو، أراد معلّمين... وفي حديث الخوارج: سيماهم التحليق أي علامتهم، والأصل فيها الواو فقلبت لكسرة السين وتمد وتقصّر، وقد يجئ السيماء والسيماء ممدودين... (ابن منظور، 2000، باب: سوم)

بحيث يركز المعنى اللغوي كما رأينا على ارتباط اللفظة بالعلامة والسمة، فهي سمة وسيماء وعلامة، "وهي تعود على ما كان يسمى عند العرب بعلم السيماء وهو علم كيمياء القرون الوسطي وقيل سموه (الخيماء) لقرب اللفظتين لفظاً ومعنى. ويمكننا أن نقول أنها تحريف للفظ العربي السيماء، خاصة لاحتفاظها بـ (أل) التعريف التي لازمت المصطلح دلالة علي أصوله العربية، ويعرف بأنه : علم يدرس العلامة ومنظوماتها (أي اللغات الطبيعية والاصطناعية) كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها". (صدق، 2000، صفحة 77)، أي تدرس علاقات العلامات والقواعد التي تربطها أيضاً، إذ يعرفها بيير غيرو بأنها: "العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، وأنظمة الإشارات، والتعليمات" (غيرو، 1984، صفحة 50).

وهذا التحديد يدخل اللغة تحت المفهوم الجديد لعلم السيماء الذي يعود الفضل فيه إلى العالم الشهير دو سوسير الذي يقول عن السيماء :

أما العلم الذي يدرس حياة العلامات من داخل الحياة الاجتماعية، ونستطيع -إذن- أن نتصور علما يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي، وهذا العلم يشكل جزء من علم النفس العام، ونطلق عليه مصطلح علم الدلالة (السيمولوجيا) وهو علم يفيدنا موضوعه من الجهة التي تقتنص بها الدلالات والمعاني. وما دام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبأ بمصيره، غير أننا نصرح بأن له الحق في الوجود، وقد تحدد موضوعه بصفة قبلية، وليس علم اللسان إلا جزء من هذا العلم العام وسيبين لنا هذا العلم ما هو مضمون الإشارات، وأي قوانين تتحكم فيها. (دو سوسير، 1987، صفحة 88)

إن دو سوسير كما نرى قد تصور وجود هذا العلم وبين اشتقاقه وأصله، كما حدد موضوعه، و نادى بحقه في الوجود ووصف علاقة هذا العلم الآتي الذي لم يكن قد ولد بعد، بكل من علم النفس الذي هو الأصل الذي ينتمي إليه هذا العلم، وبين علم اللسان الذي سيكون جزء منه، كما بين وظيفته وأهميته في بيان مدلولات الإشارات ومعرفة قوانينها التي تحكمها .

2.2 السيميولوجيا والسيميوطيقا والسمياء:

1.2.2 سيميولوجيا أم سيميوطيقا:

يظهر لنا جليا اختلاف العلماء في استعمال مصطلحين اثنين يطلقان على هذا العلم: السيميوطيقا semiótica والسيميولوجيا semiología، وهذا الاختلاف الشكلي لا ينفي القرب الشديد بين المصطلحين بل وترادفهما، "فالسيميولوجيا إذن مرادفة للسيميوطيقا وموضوعهما دراسة أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغويا أو سننيا أو مؤشريا" (دو سوسير، صفحة 87)، كما يترادف هذان المصطلحان على المستوى المعجمي، فإذا بحثت عن الأول تجد الثاني معه لا محالة وأيضا إذا بحثت عن الثاني وجدت الأول معه أيضا، وقد ورد ذلك سالفا في تعريف المجمع الملكي الإسباني، حيث استعملا في الأصل للدلالة على فرع في الطب، موضوعه دراسة العلامات الدالة على المرض، لاسيما في التراث الإغريقي حيث عدت السيميوطيقا جزءا لا يتجزأ من علم الطب. وهو ما نجده أيضا في معجم اللغة الفرنسية كالاتي:

Sémiologie : n.f (du gr.semeion, signe).

1-Science générale des signes et des lois qui les régissent au sein de la vie sociale.2-Med. Séméiologie.

Sémiologique adj.1- Relatif a la sémiologie. 2-Méd. Séméiologique. 3-Sémiotique.

Sémiotique : n.f (gr.semeiotike). 1- Théorie générale des signes.

(Le petit Larousse, 2003. p931)

والواضح أن كل هذه الدراسات السيميائية؛ التي تعلق بمحملها بالفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع، بل بالسلوك الإنساني إجمالا، لم تشق طريقها لوضع منهج علمي مؤسس أو نظرية علمية قائمة بذاتها ومحددة في موضوعها، لها أدواتها ومصطلحاتها الدقيقة الخاصة بما دون غيرها، بل لظالما ظهرت على شكل آراء سيميائية مشتتة بين التصورات الإيديولوجية والثقافية. يقول حنون مبارك في هذا الصدد: "إلا أن مثل تلك الآراء السيميولوجية التي احتضنتها مجالات معرفية عديدة بقيت معزولة عن بعضها البعض، ومفتقدة لبنية نظرية تؤطرها كلها، وبقيت عاجزة عن أن تبني لنفسها كيانا تصوريا ونسيجا نظريا مستقلا إلى أن جاء كل من سوسير وبورس" (مبارك، دت، صفحة 99) يتفق الباحثون على أن المنهج السيميائي قد بشر به سوسير في فرنسا في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة"، وقد ارتبط هذا العلم بالمنطق على يد الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بورسفي أمريكا. وعلى الرغم من ظهورهما في مرحلة زمنية متقاربة، إلا أنهما كانا مستقلين عن بعضهما ومنفصلين انفصالا تاما؛ فالأول كما أسلفنا سابقا بشر في

محاضراته بظهور علم جديد سماه السيميولوجيا (Sémiologie) يهتم بدراسة العلامات داخل الحياة الاجتماعية ولن "يعدو أن يكون موضوعه الرئيسي مجموعة الأنساق القائمة على اعتبارية الدلالة" (دوسوسير، 1987، صفحة 26) على حد تعبير سوسير.

وقد تزامن هذا التبشير مع مجهودات بورس، والذي نحا منحى فلسفيا منطقيًا، وأطلق على هذا العلم الذي كان يهتم به بـ "السيميوطيقا" "Sémiotique" والذي يرى بأن النشاط الإنساني نشاط سيميائي في مختلف مراحل ومظاهره وتحليلاته. ويعد هذا العلم في نظره الإطار المرجعي ذو القواعد المنطقية والذي تنبثق عنه كل الدراسات الفكرية واللسانية والاجتماعية والعلمية. وهو يحدد لنا المجال الواسع لعلم السيمياء قائلًا:

لم يكن باستطاعتي يوما ما دراسة أي شيء -رياضيات كان أم أخلاقا أو ميتافيزيقا أو جاذبية أو ديناميكا حرارية أو بصريات أو كيمياء أو تشريحا مقارنة أو فلكا أو علم نفس أو علم صوت، أو اقتصاد أو تاريخ علوم أو ويستا (ضرب من لعب الورق) أو رجالا ونساء، أو خمرا، أو علم مقاييس- دون أن تكون هذه الدراسة سيميائية. (بنكراد، 2005، صفحة 13)

إذن يمكننا القول بأن السيميولوجيا والسيميوطيقا متقاربتان في المعنى حد التطابق تقريبا، فكلاهما تتناولان دراسة أنظمة العلامات أي كان مصدرها لغويا أو حركيا أو إيمائيا.

فلم تعد ثمة أسباب أو مبررات تجعل أحد المصطلحين يحظى بالسيادة دون الآخر، وإن كانت هناك أسباب تميزهما؛ فهي في الواقع أسباب ثانوية تعتمد النزعة الإقليمية على حد تعبير ترنس هوكز الذي يقول في هذا الخصوص: "ومن غير اليسير التمييز بينهما، وتستعمل كلتا اللفظتين للإشارة إلى هذا العلم، والفرق الوحيد بين هاتين اللفظتين أن السيميولوجيا مفضلة عند الأوربيين تقديرا لصياغة سوسير لهذه اللفظة، بينما يبدو أن الناطقين بالإنجليزية يميلون إلى تفضيل السيميوطيقا احتراما للعالم الأمريكي بورس" (هوكز، 1996، صفحة 114).

لكن الصيغة الثانية، أي "السيميوطيقا"، هي التي أقرت أخيرا لتسمية هذا العلم، وقد أخذ بها من قبل "المجمع الدولي لعلم السيميوطيقا" المنعقد بباريس في شهر يناير سنة 1969. يقول أومبرتو إيكو في هذا الصدد:

Sea como fuere; en este libro hemos decidido adoptar definitivamente la palabra 'semiótica' sin prestar atención a las implicaciones filosóficas o metodológicas de ambos términos. Simplemente, nos conformamos a la decisión adoptada en enero de 1969 en Paris por un comité internacional que ha dado origen a la "International Association for Semiotic Studies" y que ha aceptado el término "semiótica" (aunque sin excluir el uso de "semiología", que de ahora en adelante habrá de cubrir todas las posibles acepciones de los dos términos en discusión. (Umberto Eco, 2011, p. 7)

بحيث ينقل لنا إيكو كيف تم إقرار مصطلح *semiótica* ودون الالتفات إلى الآثار الفلسفية أو المنهجية لكلا المصطلحين ، خاصة أن الغاية من هذا هي التوحيد . والاختلاف بين السيميولوجيا والسيميوطيقا في رأي كثير من الباحثين يجب أن لا يأخذ الجانب الأوسع، أو الحيز الأكبر من اهتماماتهم. إذ هما مترادفتان مهما كان بينهما من اختلافات دلالية دقيقة.

2.2.2 السيمياء:

عرف العرب بدورهم هذا العلم ومارسوه كما ورد سالفًا ، وذلك قبل أن ترسم له القواعد وتوضع له الأصول، فقد نحى بن حيان منحى سيميائيا في دراساته الكيميائية والظواهرية، كما يقدم لنا الجاحظ دليلا باهرا على عبقريته المشهود بها وهو يحلل الدراسات العلمية ببحث سيميائي مميز وذلك من خلال تعريفه للبيان بأنه: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى . أي كل ما أوصل السامع إلى المعنى المراد، يستوي في ذلك كل أجناس الأدلة، فبأي شيء بلغت الإفهام ووضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع" (الجاحظ، 1948، مج 1، ج 1، صفحة 76).

وقد نحى الجاحظ المنحى ذاته القائل بأنَّ السِّمياء أوسع من اللغة، وأنَّ اللغة فرغٌ منها، وهو رأي بورس أيضا ، فهو يستدل على ذلك بقوله: " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد؛ أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْدُ، ثم الحَطُّ، ثم الحالة التي تسمى نسبة (الجاحظ، 1948، مج 1، ج 1، صفحة 81).

فالجاحظُ يحقِّق علم العلامات، بأنَّ راح يفصلُ الإشارات التي تنقل المعاني، ويشرحُ كيفيَّتها، فالإشارة باليد والرأس والعين والحاجب والمَنكَب، أمَّا إذا تباعد الشخصان فبالثوب والسيِّف، وتختلفُ دلالات إشارة السيِّف، فقد يتهدد رافع السيِّف والسوط، فيكون زاجراً أو مانعاً رادعاً، ويكونُ وعيداً وتحذيراً، ويجدُّ الجاحظُ المواقفَ الاجتماعية التي تستدعي التعبيرَ بها كقوله: " وفي الإشارة بالطَّرْفِ والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يستترها بعضُ الناس من بعض، ويخفونها من المجلس وغير المجلس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص (الجاحظ، 1948، مج 1، ج 1، صفحة 78).

والعَقْدُ هو الحسابُ، وهو دون اللفظ والحَطُّ كما فسَّرَه البغدادي "والعقدُ نوعٌ من الحساب يكونُ بأصابع اليدين، يقال له حسابُ اليد، وقد ورد منه في الحديث، "وَعَقَدَ عَقْدَ التسعين" (البغدادي، 2008، صفحة 147) وهو يشتمل على معانٍ كثيرة. وأمَّا النَّصْبُ فهي الحالُ الناطقة بغير لفظ، والمشيئة بغير يد، ومن أمثلتها في نطق الحمادِ بدلالة الحال، كقول الفضل بن عيسى بن أبال " سِلِ الأَرْضَ، فقل من شقَّ أنهارك، وعرسَ أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبكَ حواراً، أجابتك اعتباراً" (الجاحظ، 1948، مج 1، ج 1، صفحة 81).

وهو يفسر لنا كيف يتم نقل المعاني والدلالات باللفظ وبغير اللفظ، أي بعلامات قد تكون لغة منطوقة أو مكتوبة، أو بعلامات أخرى إشارية أو إيحائية أو ملتحفة وغير مباشرة، فالأرض مثلا، والتي هي جماد لا تتقن لغة البشر، قد تتواصل مع البشر إشارة أو تجليا أو ظاهريا، وكلها سيمياء أعم وأشمل من اللغة.

وبجملة الإشارات والعلاقات يتمكن الإنسان من الإفصاح بغير مقام، بمعنى أنها لغات؛ يتم التفاهم بها بين العباد، ولولا معرفة العباد لمعنى الحساب في الدنيا، لما فهموا عن الله عز وجل الحساب في الآخرة، وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد، فساد جُلّ التعم. (الجاحظ، 1948، مج 1، ج 1، صفحة 80)

كما ورد مصطلح السيمياء والسيمياء في القرآن الكريم، وذلك في مواضع عديدة نذكر منها قوله تعالى في الآية 30 من سورة محمد: ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَتَعَرَّفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي معناه إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه تحجيز أمر المسلمين، أي التمكن من معرفة الكاذب من المنافق بعلامات كثيرة، كنبرة الصوت وإيقاع الكلام (المحلي والسيوطي، 2001، صفحة 676).

وأبضا قوله تعالى في الآية 41 من سورة الرحمن: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ وللمجرمين سماتٌ معروفة هي اسوداد الوجه وزرقة العين. (المحلي والسيوطي، 2001، صفحة 711). أما سيمياء المؤمنين فبيضُ الوجوه؛ في الآخرة لكثرة سجودهم لله في الدنيا، ومنه قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ في الآية 29 من سورة الفتح، وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا (المحلي والسيوطي، 2001، صفحة 684).

كما أشار الأصفهاني إلى سيمياء الصوت ، بحيث يصدر الصوت ومعه علامات تحدد اختلاف نعمته وتباين شدته من موقف إلى آخر تبعا للمقاصد والأغراض "فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات وإلى اختلاف النغمات، فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر." (الأصفهاني ، 1992، صفحة 450).

كأن يكون الصوت العالي والمنفجر علامة على الغضب والرفض والنفور، والصوت الخافت علامة على الخجل والمرض والتعب، وقد يحمل الصوت المتردد المتذبذب علامات عديدة كالخوف وعدم الاطمئنان والامتعاض والتردد وغيرها.

أما ابن خلدون فقد خصص فصلا في مقدمته لعلم أسرار الحروف ويقول عنه: المسمى بالسيمياء نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من غلاة المتصوفة، فاستعمل استعمال في الخاص وظهر عند غلاة المتصوفة

عند جنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات ومزاعمهم في تنزيل الوجود عن الواحد، فحدث بذلك علم أسرار الحروف وهو من تفاريع السيميائية لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله وتعددت فيه تأليف البوني وابن العربي، ومن فروع السيميائية عندهم استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون أنها أصل في المعرفة (ابن خلدون، 1979، صفحة 556). كما أن رشيد بن مالك ينحو المنحى ذاته، إذا يقول في هذا الشأن:

ويمكن أن نبرز انخراط رؤيتنا المنهجية في هذا التوجه بما تعترضنا من مشاكل في حياتنا اليومية، كأن يحصل لسيارة ونحن نقودها عطب فتتوقف (...). فهو غير معني [السائق] على الإطلاق بالجدل حول أسماء القطعة التي تأكلت وهو غير معني أيضا بهذه الثثرة التي تنشأ حول تعريب أو ترجمة الأسماء التي تسمى بها هذه القطعة. (بن مالك، 2000، صفحة 7).

وتلك هي أيضا رؤيته المنهجية في السيميائية "بوصفها خيارا منهجيا مغايرا للمناهج النقدية التقليدية، بما يساعد على تطوير سيميائية عربية ليست نسخة حرفية أو مطابقة للسيميائية في الغرب" (بن مالك، 2000، صفحة 7).

ونتيجة لما سبق فقد دعا معظم اللسانيين العرب إلى ترجمة كلا المصطلحين (سيميولوجيا *Semiologie* أو سيميوطيقا *Semiotic*) بالسيميائية. ورأوا أن هذه المفردة؛ أي السيميائية العربية، لها حقل دلالي لغوي ثقافي تشاركها فيه كلمات مثل السمة والتسمية والوسام والوسم والميسم والسيمياء والسيميائية وكلها تعني العلامة أي: "السيميائية" وهكذا أضحت السيميائيات تحتل مكانة مميزة في المشهد الفكري المعاصر، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته ومن حيث نتائجه وأساليبه التحليلية. إنها علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا، ومن هذه الحقول استمدت السيميائيات أغلب مفاهيمها وطرق تحليلها، كما أن موضوعها غير محدد في مجال بعينه، فهي تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني، بل هي أداة لقراءة وتحليل كل مظاهر السلوك الإنساني من انفعالات بسيطة، وطقوس اجتماعية وأنساق إيديولوجية.

3. منهج أمبيرتو إيكو في الترجمة:

1.3 منهج إيكو بين السيميائية والتأويل:

تستند هذه الدراسة على منهج إيكو التفاوضي التأويلي السيميائي، وهي تركز أكثر على كتابه الذي يحمل عنوانا هو في حد ذاته مدعاة للتمعن والتفكير، ألا وهو: "أن نقول الشيء نفسه تقريبا"؛ بحيث تتضمن كلمة "تقريبا" العديد من مسائل الترجمة التي لطالما أسالت حبر المترجمين والنقاد.

وهو يضع في هذه الكلمة، "تقريبًا"، كل ما يريد أن يقوله في فعل الترجمة، وهو كثير، من وفاء وتطابق وتكافؤ وغيرها من المسائل التي تعنى بها الترجمة. و بخلاف معظم من كتبوا في الترجمة، لم يكتف إيكو بالتنظير المجرد، بل قام بالانطلاق من تطبيقات فعلية تقدم أمثلة عينية في الترجمة من وإلى لغات مختلفة، إلى ما يمكن أن يستخلصه منها من مفاهيم، يمكن أن يصل بها إلى صياغة نقاط من شأنها أن تؤلف عناصر إجرائية من أجل نظرية في الترجمة.

وعلى كل، ينطلق إيكو من عنوان يتضمن في بساطته صعوبة تحديد ذلك "الشيء" الذي ينبغي ترجمته، والإشكال الأول هو هل المؤلف والقارئ (وبطبيعة الحال المترجم) متفقون بخصوص ذلك الشيء، بحيث نكون متأكدين من أن القول يعني الشيء نفسه، أو انه يعنيه "تقريبًا"، وإذا كان الأمر غير ذلك، فعلى المترجم الاجتهاد من خلال التأويل للاقترب أكثر ما يمكن من جملة الخصوصيات المحملة في القول؛ سواء منها الدلالية أو الإيحائية أو الجمالية ، باختصار أن يحدث المترجم في القارئ جملة التأثيرات تقريبا التي يحدثها النص الأصلي في قارئه.

"Con todo, es interesante ver dónde el traductor, a veces, sabiendo que puede decir sólo un *casi*, va a buscar *el núcleo de la cosa* que quiere verter (aunque seacasi) a toda costa." (Eco, 2008, p. 485).

بحيث يرى إيكو أنه من المهم أن يبحث المترجم عن جوهر الشيء الذي يود إعطاءه، حتى لو كان بشكل تقريبي وبأي ثمن، فالترجمة تتمثل في فهم النظام الداخلي للغة وبنية النص الذي جاء في تلك اللغة، وخلق نسخة منه قادرة على أن تحدث في القارئ تأثيرات مماثلة للتي يحدثها النص المصدر. وبما أن كل لغة تنظم مسترسل المضمون بصفة مختلفة تؤدي إلى استحالة تطابق اللغات فيما بينها تطابقا كاملا، لذا فان الترجمة لا تتوقف فقط على السياق اللغوي، بل تتوقف أيضا على شيء يقع خارج النص، ألا وهو كل المعلومات بخصوص ذلك الكون، وبصفة أعم على الكفاءة الموسوعية للمترجم.

"Esto nos hace sospechar que una traducción no depende sólo del contexto lingüístico, sino también de algo que está fuera del texto, y que denominaremos información sobre el mundo o información enciclopédica." (Eco, 2008, p. 100)

فهو هنا يلفت انتباهنا كيف أن الشك يتملكنا حول اعتماد الترجمة على سياق آخر يقع خارج النص، وهو يتعدى السياق اللغوي، كالمعلومات الموسوعية مثلا. ويؤكد إيكو على فكرة تكوين افتراض حول العالم الممكن، أي إيجاد جملة من الإشارات والمعلومات التي من شأنها أن تساعدنا على تأسيس فرضيات مقبولة قبل عملية الترجمة من لغة إلى أخرى، بحيث يتعين على المترجم أن يقع على المعنى الأكثر احتمالا؛ وذلك لكي يتناسب مع سياق النص، وتكوين حدود للزمان والمكان داخل هذا العالم الممكن.

هذا الحوار الجدلي مع النص (وأحيانا مع المؤلف) يؤسس لمبدأ يحتل نقطة المركز في دراسات إيكو حول الترجمة، وهو مبدأ: التفاوض. أي ما يحتفظ به المترجم وما يفقده من النص المترجم، هو نتيجة تفاوض المترجم مع النص. ولا شك أن عمليتي التأويل والتفاوض تخضعان إلى جملة من المعايير والشروط.

يطلق إيكو على نتيجة هذا التعادل الوظيفي "تساوي القيمة التبادلية"، وتتوصل إليها عن طريق تطبيق عملية تفاوض أطرافها هم، من جهة، النص الأصلي مع حقوقه المستقلة، والمؤلف حين يكون حيًا، ويرغب في مراقبة الترجمة، والثقافة التي ولد فيها النص الأصلي، ومن جهة أخرى، المترجم، ونص الترجمة، والثقافة التي سيظهر فيها، مع ما ينتظره القراء الجدد؛ مما يفرض على المترجم أن يصوغ فرضية تأويلية حول الأثر المتوقع من قبل النص الأصلي، كي يعمل على إعادة إنتاجه في ترجمته.

ولكن عملية التفاوض هذه، لا تفترض الوصول مسبقًا إلى التساوي في القيمة التبادلية، بل يتعين على المترجم، في نظر إيكو، إسقاط (desmoronamiento) بعض الجوانب التي تقتضيها الكلمة الأصلية. وبهذا المعنى إنما نقول إننا بترجمتنا لا نقول الشيء نفسه، ويجب على التأويل الذي يسبق كل ترجمة، أن يبيّن الجوانب أو التفاصيل التي يضطر إلى إسقاطها.

2.3 أدوات التفاوض حول الترجمة:

يتعين على المترجم، اللجوء إلى مبدأ التفاوض، ضمن مسار تفسيري وتأويلي بغية الوقوع على دلالة التعابير في لغة الأصل، ثم العمل على إحداث الدلالة نفسها، أو نفسها تقريبًا، على حسب تعبير إيكو. وهو يبرز العديد من النقاط التي من شأنها تحقيق هذا التفاوض في عملية الترجمة؛ بيد أنه يركز على نقاط أربعة هي: العالم الممكن (MundoPosible)، النمط المعرفي (TipoCognitivo)، المضمون النووي (Contenido nuclear) والمضمون الكتلوي (ContenidoMolar). هذه المفاهيم الأربعة تشكل اللبنات الأساسية التي يبنى عليها الفعل الترجمي وفق مسار تفاوضي.

1.2.3 النمط المعرفي (Tipo Cognitivo):

يتفق الناس عادة وبالتواضع، على بعض المسميات، وفق مقتضيات التعرف على هذه الأشياء، ويضرب لنا إيكو مثالاً على ذلك، كيف أننا إذا رأينا قطاً يعبر الطريق؛ سيرتسم في ذهننا جميعاً أنه قط وليس كلباً مثلاً، كما نتفق بالإجماع على أن مبنى من طابقين اثنين هو 'منزل'، وان مبنى من مائة طابق هو 'ناطحة سحاب'. هذا ما يسميه إيكو بالنمط المعرفي، وهو الدلالة البسيطة التي تعكسها الأشياء في أنفسنا في أولى تجلياتها، ولا يمكن الجزم بأنها الدلالة نفسها عند جميع المتحدثين أو المستمعين، فقد يركز كل شخص متلقٍ للدلالة على جانب أكثر من غيره.

A despecho de cualquier teoría, lagente suele estar de acuerdo en reconocer ciertos objetos, en concordar intersubjetivamente con que está pasando un gato por la calle y no un perro, con que un edificio de dos pisos es una casa y uno de cien un rascacielos, etc. (Eco, 2008, p. 99)

أي أن الناس يتوافقون عادة على التعرف بالوضع على أشياء معينة، وعن طريق الاتفاق بشكل متبادل حول تسمية الأشياء، وعليه يمكن القول بأن النمط المعرفي هو المستوى الإدراكي الأول الذي يتشكل في الذهن؛ لحظة الوقوع على الأشكال الدلالية مهما كان نوعها، لسانية أو غير لسانية، أي تلك المعرفة المبدئية التي نتشارك فيها جميعا بالتواضع، بعيدا عن جملة الدلالات العميقة والمعاني الإيحائية والمفاهيم الثانوية التي من شأن هذه الأشكال التعبير عنها أيضا.

2.2.3 المحتوى الكتلوي: (contenidomolar)

يرجع إيكو إلى كلمة 'فأر'، بحيث يبين كيف أن إعطاء تعريف للفظ 'فأر' يتيح التعرف عليه، أو التمكن من تكوين صورة ذهنية تمثل 'الفأر'. ولكن التعريف القاموسي للكلمة من نحو: ثدي، فأري وقاضم يبقى غير كاف.

ويقول إيكو بأن التعريف الذي تقدمه الموسوعة البريطانية ويزيبكا (Weirzbicka) غير كاف بدوره؛ على الرغم من كونه ينطلق من تصنيفه الحيواني إلى ظروف عيشه وتكاثره ومناخه وحياته الاجتماعية. كيف ذلك؟ أي إنه بالنسبة إلى شخص لم ير فأرا في حياته، لن يفيد هذا الكم الكبير من المعلومات في التعرف عليه.

لا شك أن عالم الحيوان (un zoologo) يملك في جعبته العديد من المعلومات التي تخص الفئران، وهو يعرف عنها أكثر من غيره وأكثر من أي متحدث عادي. وهو بالإضافة إلى الخصائص الأساسية التي تميز هذا الحيوان؛ يعرف الخصائص الثانوية وغير الضرورية، كما انه يملك معرفة موسعة عنه، ككون الفئران تستخدم في المخابر العلمية، أو أنها حاملة لهذا المرض أو ذاك، وغيرها من المعلومات المتخصصة. يسمى إيكو هذه المعرفة الموسعة المضمون الكتلوي، والذي هو عبارة عن تعريف معمق وموسع، يحتوي جميع الخصائص الضرورية وغير الضرورية، أي أنه تعريف موسوعي.

"El Contenido Molar, que puede adoptar formatos diferentes según los sujetos, representa porciones de competencia sectorial. Digamos que la suma de los Contenidos Molares se identifica con la Enciclopedia como idea regulativa y postulado semiótico" (Eco, 2008, p. 299).

أي أن المحتوى الكتلوي يرجع إلى أنساق مختلفة، موضوعة ضمن مواضيع متجزئة داخل آفاق موسوعية وواسعة، فمما لا شك فيه أن عالم الحيوان يميز بشكل علمي ودقيق بين الفأر (raton) والجرذ (rata)، وعليه يتوجب على من يترجم دراسة علمية في علم الحيوان تناول مثلا هذين الصنفين؛ أن يلم بمعرفة كافية تمكنه من أداء عمله وفق شروط الفعل الترجمي التي تحدثنا عنها سالفًا. وإذا افترضنا أننا داخل قاعة ما ومعنا عالم حيوان، وفجأة نرى شكلا مغزليا صغيرا يجري بسرعة تحت الطاولة والكراسي، لا شك بأننا سنصرخ جميعا -وعالم الحيوان معنا أيضا- إنه فأر! يوجد فأر!

وعليه نكون قد رجعنا إلى النمط المعرفي، أي إلى تلك الدلالة الأولية التي تبثها الأشياء في الأذهان. حتى وإن كان هذا العالم الحيواني قد تعرف، عند رؤيته للحيوان، على جميع خصائصه الفريدة التي تميزه عن غيره من الحيوانات التي

تنتمي إلى نفس الفصيلة، إلا أنه وفي تلك اللحظة من التأويل، قد صغر إن شئنا القول، من مخزونه المعرفي ليتماشى مع حجم معرفتنا بالحيوان. أي أنه أوجد مستوى دلاليا يتماشى مع مضموننا النووي، وهنا تكون قد حدثت بيننا عملية تفاوض ضمنية، أدت بنا إلى تسميته فأرا.

3.2.3 المحتوى النووي (Contentidonuclear):

يبين لنا إيكو أن عملية توضع المعنى في الذهن وفي النفس المتلقية تتم عبر مؤولات تفسيرية، وهو يعطي مثلا لكلمة 'فأر'، بحيث لا يمكننا أن نعلم تحديدا ما يجول بذهن شخص ما لحظة تعرفه على 'فأر'، ومحاولته فهمه له إلا بتأويله، ربما عن طريق الإشارة إلى الحيوان أو إلى صورة له؛ بغية إيصال هذه الدلالة على شخص آخر لم يرى فئراننا. وستمكن من إدراك الدلالة من خلال المؤولات التي يستخدمها شخص ما في تفسيره لغيره ما هو فأر، بحيث يسمي إيكو مجموعة المؤولات المعبر بها المضمون النووي، وهو عبارة عن مجموعة من الخصائص التي تعطي تعريفا مشتركا يتناسب مع الدلالة العامة للأشياء، على الرغم من كونه ينضوي على بعض المناطق المظلمة وبعض مناطق الإسقاط والتخلي.

“El Contenido Nuclear sepuede ver, tocar, compararintersubjetivamente porque se expresafísicamente a través de sonidos y, si es necesario, de imágenes, gestos o inclusoesculturas de bronce”. (Eco, 2008, p. 299)

فهو يرى بأن المحتوى النووي يعبر عن نفسه بشكل ملموس، من خلال الأصوات والصور والإيماءات والمنحوتات وغيرها، بحيث يمكن القول بأنه يحمل جملة من الخصائص الضرورية، والتي من شأنها إعطاء تعريف مشترك بين مجموعة من المتلقين، إنه يعطي تعريفا عاما للأشياء، وهو لا يدرج مجموعة الخصائص العميقة و الدقيقة والبعيدة والثانوية، وهو ما يجعله يحوي بعض زوايا العتمة والإسقاط.

4.2.3 العالم الممكن (Mundo Posible):

يتمثل عمل المترجم في تحديد دلالة الأشياء من ألفاظ وتعابير، بغية نقلها إلى لغة أخرى، متوخيا في ذلك العديد من النقاط المهمة؛ خاصة أنه يحدد هذه الدلالات وفق إطار النص، فهو لا يقوم بترجمة كلمات معزولة عن أي سياق، كما هو الشأن في القواميس المزدوجة مثلا، بل عليه أن يتوقف عند جملة من الشروط العلمية والإجرائية، كالوفاء لنص الأصل واحترام لغة الوصل والتعبير عن قصيدة المؤلف وكذا البحث عن مختلف المؤشرات الزمنية والمكانية (الهنا والآن).

“Lo que aquí está en juego es el problema de la referencia y de cómo una traducción debe respetar los actos de referencia del texto original”. (Eco, 2008, p. 99)

أي أن مربط الفرس هنا يتعلق بالمرجع، وكيف تتمكن ترجمة ما من احترام الأعمال المرجعية للنص الأصلي. يكتسي السياق الثقافي أهمية كبيرة في الترجمة، إذ يتطلب من المترجم كل العناية والحذر، وذلك لخطورة الأخطاء الممكن

الوقوع فيها إذا أغفل الإطار الثقافي الذي نشأ فيه النص المراد ترجمته، إذ أن النصوص على اختلافها وليدة سياقات ثقافية من الواجب استيعابها ومراعاتها بغية الحصول على ترجمة صحيحة.

5.2.3 نموذج عن التفاوض حول الترجمة:

ونتيجة لما سبق، ارتأينا أن ندرج مثالا، نتمكن من خلاله من فهم مبدأ التفاوض وكيفية تطبيقه فعليا على الترجمة تحديدا، مرتكزين على الأدوات الإجرائية السابقة الذكر. ولا يسعنا في هذا المجال إلا الاعتماد على أحد أكثر الأمثلة أهمية وتأدية، وهو مستقى من تجربة إيكو الخاصة في ميدان الترجمة عموما وفي ترجمته لكتاب "سيلفي" لنيرفال.

يخبرنا إيكو كيف توجب عليه أن ينقل للقارئ الإيطالي ما تعنيه كلمة: 'Chaumière' الفرنسية، والتي تعبر عن نوع من المنازل انتشر في ذلك الوقت بقرية لوازي (Loisy)، وهو المنزل الذي تعيش فيه البطلة "سيلفي"، وهو كذلك منزل الخالة الذي كان الراوي يزوره برفقة سيلفي. و"chaumière" لفظة تحتوي تعبيراً عن معنى جميل، ولكنه غير موجود في اللغة الإيطالية. وينقل لنا إيكو الحلول التي اتبعها بعض المترجمين في نقلها، فمنهم من اختار كلمة: capanna، أو كلمة casupola، ومنهم من ترجمها ب: cassetta، أو piccolabaita وغيرها.

ولسان الحال يقول بان كلمة Chaumière الفرنسية تجمع خاصيات مميزة هي:

أ. أنه منزل للفلاحين.

ب. هو منزل صغير.

ج. يكون عادة من الحجارة.

د. سقفه مصنوع من الحشيف.

هـ. هو منزل متواضع.

كما يضيف نيرفال في الفصل السادس من كتابه خاصية أخرى، وهي أن la Chaumière التي تسكنها الخالة كانت: en pierres de grés inégales، فأى من الخصائص السالفة الذكر تكتسي أهمية أكثر حتى يركز عليها المترجم وينقل كل دلالاتها إلى اللغة الإيطالية؟

ويعلق إيكو بأن: Chaumière، ليست capanna (كوخ)، بحيث تعبر الكلمة في اللغة الإيطالية عن بيت مصنوع من الألواح والقش، وهي ليست cassetta (بيت صغير) أيضا، لان سقفها مصنوع من الأحشاش، بينما يعبر لفظ cassetta عن منزل سقفه مصنوع من القرميد، وهو ليس حقيراً بالضرورة. كما أنها ليست baita، التي هي عبارة عن بيت بدائي الصنع في الجبل، وهو أشبه ما يكون بملجأ مؤقت. وحقيقة الأمر أنه وفي تلك الحقبة، كانت منازل الفلاحين مصنوعة بهذه الكيفية، ليس فقط بقرية 'لوازي'، بل بالعديد من القرى الفرنسية، فهي ليست بالمنازل الفخمة والكبيرة، ولكنها ليست أكواخا حقيرة أيضا. وهنا تظهر لنا عملية التفاوض، بحيث نملك بين أيدينا جميع المؤشرات الدالة عن العالم الممكن، كعاطلي الزمان والمكان الذين كتبنا فيها النص، الذي يخبرنا عن الظروف المعيشية والاجتماعية والثقافية التي كتب فيها نص الأصل. يبقى لنا التنازل عن بعض الخصائص المميزة للمفهوم الفرنسي، لأنه إذا أردنا التعبير عنها

جميعاً؛ ننتهي بإدراج مضمون كتلوي موسع سيفقدنا السيطرة على النسق. أي أننا سنقوم بالاحتفاظ فقط بتلك الخصائص ذات الأهمية الكبيرة بالنسبة إلى سياق النص، وذلك بالجروح إلى المضمون النووي للفتة. بحيث يرى إيكو بإمكانية إسقاط خاصية السقف الحشفي، بحيث اكتفى بالإشارة إلى أنها: *casupole in pietra*، أي بيت صغير من الحجارة. ويقر إيكو بأنه بعد عملية التفاوض يخسر بعض الجوانب الدلالية للمفهوم، وهذه الخسارة ناجمة عن التخلي عن بعض الخصائص، ولكنه استعمل ثلاث كلمات عوضاً عن واحدة:

Chaumière (1) = casupole (1) in (2) pietra

وفيما يلي تظهر لنا الكلمة الفرنسية في نص الأصل، داخل مقتضيات نسقها ووفق حدود سياقها:

Voici le village au bout de lasente qui cotoie la forêt : vingtchaumières dont la vigne et les rosesgrimpanes festonnent les murs.

و يمكننا استنباط المسار الترجمي ذي المنحى السيميائي عند أمبيرتو إيكو وفق المخططين الآتين:

الشكل 1: المسار الترجمي عند إيكو

Chaumière

Tipo cognitivo

Contenido molar

- 1- unacasa de campesino
- 2- pequeña
- 3- suele ser de piedra
- 4- con los tejadosdepaja
- 5- humilde
- 6- en pierresde grèsinégales.

Contenido nuclear

- 1-casas pequeñas y modestas
- 2- de piedra

Mundo posible

En muchasaldeas francesas de aquella época
lascasitas de los campesinos estabanhechas así

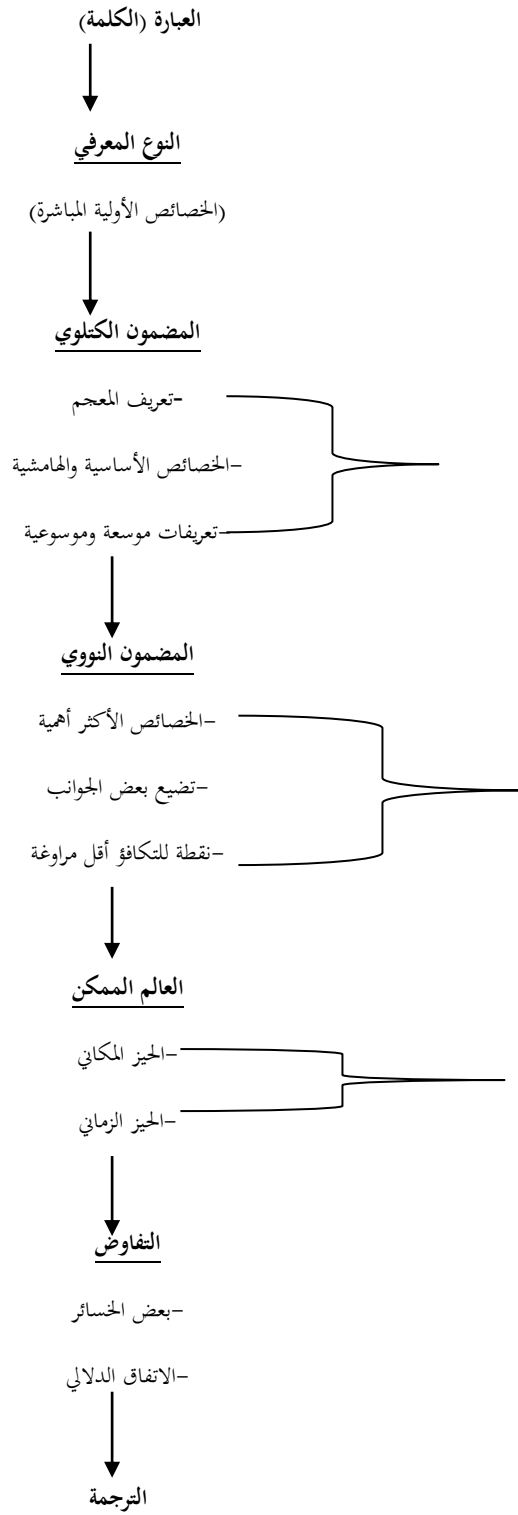
Negociación

Traducción:

casupole in pietra

المصدر: من إعداد الباحثة

الشكل 2: المسار الترجمي السيميائي لإيكو



تحقيق المضمون النووي كما هو موجود تقريبا في نص الترجمة

(التفاوض حول المكاسب والخسائر)

المصدر: من إعداد الباحثة

هذا التفاوض؛ متعدد الأوجه والأطراف، هو الذي يقود، في النهاية، إلى تحديد خيارات المترجم من ناحية التأويل والحذف والإضافة والتعديل ونقل ظلال الكلمات، وحرارة العبارات في الأصل، فعملية الترجمة محملة بخصوصيات دلالية وجمالية تجعل منها، لا مجرد نقل، بل محاولة إبداعية أخرى موازية للنص الأصل، على اعتبار أن:

"una traducción no concierne sólo a un trasvase entre dos lenguas, sino entre dos culturas, o dos enciclopedias. Un traductor no debetener en cuenta sólo reglas estrictamente lingüísticas, sino también elementos culturales en el sentido más amplio del término." (Eco, 2005, p. 559).

فالترجمة لا تتعلق فقط بالنقل من لغتين، بل من ثقافتين ومن موسوعتين، وهنا يتعين على المترجم الأخذ بعين الاعتبار القواعد اللغوية الصارمة من جهة، والعناصر الثقافية بالمعنى الأوسع للمصطلح من جهة أخرى. يقف إيكو عند حالتين من التأويل: الحالة الأولى يكون فيها التأويل محكومًا بمرجعياته وحدوده وقوانينه الضابطة، حيث تحيل كل علامة على أخرى، وفق مبدأ المتصل الذي يحكم الكون الإنساني إجمالاً؛ وهنا تتحكم بالتأويل فرضيات خاصة بالقراءة. أما الحالة الثانية فيدخل فيها التأويل في متاهات لا تحكمها غاية ولا تقيدتها حدود، لأن النص يبقى عبارة عن مرجعيات متداخلة، تعمل على إدراج التأويل داخل المسارات الدلالية الممكنة كلها، وضمن السياقات الموجودة كلها دون ضابط أو حد.

وبما أن السيميائية لا تنفرد بموضوع خاص بها، فهي تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءاً من سيرورة دلالية. فالموضوعات المعزولة، أي تلك الموجودة خارج نسيج السميوز، لا يمكن أن تشكل منطلقاً لفهم الذات الإنسانية أو قول شيء عنها. فليس بمقدورنا أن نتحدث عن سلوك سيميائي إلا إذا نظرنا إلى الفعل خارج تجليه المباشر، فما يصدر عن الإنسان لا ينظر إليه في حرفيته، بل يدرك باعتباره حالة إنسانية مندرجة ضمن تسنين ثقافي هو حصيلة لوجود مجتمع.

4. خاتمة:

أضحت السيميائية تحتل مكانة كبيرة في المشهد الفكري المعاصر، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته وأساليبه التحليلية. إنها علم يستمد أصوله ومبادئه من العديد من الميادين المعرفية؛ كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي وعلم الاجتماع و الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم التي استقت السيميائية منها أغلب مفاهيمها وطرق تحليلها، غير أن موضوعها ليس محددًا في مجال بعينه، فالسيميائية تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني وسلوكياته المعبر عنها بالعلامات، بدءاً من الانفعالات البسيطة والطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى.

كما أن منهج المترجم والمفكر الإيطالي أمبيرتو إيكو، المبني على التحليل السيميائي، يثير من جهة الكثير من المسائل النظرية التي عني بها حقل الترجمة، ويستند من جهة أخرى إلى النتائج التطبيقية المستقاة من تجاربه الشخصية،

فقد انكب على مدى سنوات عديدة على كتابة النصوص الإبداعية والنقدية بالإضافة إلى الترجمة، فقد ترجم العديد من النصوص الأدبية والشعرية كما ترجمت أعماله إلى لغات شتى وقد وفرت له خبراته أرضية صلبة لكي يؤسس لمنهجه الفريد في مجال الترجمة القائم أساساً على مبدأ التفاوض؛ مستشهداً بكم هائل من الأمثلة والاقتراسات والشهادات. وهو يستند في جهوده على المنهج السيميائي الأمريكي لشارل ساندرس بورس، الذي يبنى على نسيج لا محدود من العلامات الدالة وفق نسق تأويلي وتحليلي ثلاثي الأبعاد، يتناول السلوك الإنساني بمختلف أنواعه ومستوياته، ليصل في الأخير إلى منهجية متكاملة من شأنها أن تكون إضافة لحقل الترجمة الواسع. وفي الأخير، يجدر بنا في هذا المقام، الاعتراف بان دراسة ترجمة الرمز، وانتقاله من لغة إلى أخرى وعزّ و مليء بالمطبات، بحيث أن له العديد من الجوانب التي يجب أخذها بعين الاعتبار أدبيا وسيميائيا وترجمياً أثناء نقله. وقد وجدنا بأن إخضاعه إلى دراسة سيميائية و أخرى ترجمية تفاوضية من شأنه أن يذلل هذه الصعاب، ويجعل من مهمة المترجم، في نقل الرمز، تتأسس على قواعد مدروسة تفتح له آفاقه الإشارية، وتحدد أبعاده الإيحائية، ثم تسيج له مساحته الرمزية، التي أداها في سياقه وفي استعماله، حتى يتمكن من نقله إلى لغة الترجمة بشكل أمين وسليم، يحترم لغة الرمز وثقافته و قصدية صاحب النص الأصلي و أفضلياته الأسلوبية من جهة، وكذا الإتيان بمقابل للرمز يكون بدوره رمزا في لغة الترجمة وثقافتها، بحيث لا يمكن ترجمة الرمز إلا برمز، ولا يمكن التعبير عنه إلا رمزا.

5. المراجع:

القرآن الكريم

[al-Qur'ān al-Karīm]

ابن خلدون. (1979). المقدمة (ط3). ، القاهرة: دار تحضة.

[Ibn Khaldūn. (1979). *al-muqaddimah* (ṭ3), al-Qāhirah : Dār Nahḍat].

ابن منظور. (2000). *لسان العرب* (ط4). بيروت : دار صادر.

[Ibn manzūr. (2000). *Lisān al- 'Arab* (ṭ4). Bayrūt : Dār Ṣādir].

أريفيه، ميشال و جيرو، جان كلود. (2003). *السيميائية أصولها وقواعدها*. تر: رشيد بن مالك. الجزائر: منشورات الاختلاف .

[aryfyh, Mīshāl wa jyrw, Jān Klūd. (2003). *alsymyā 'yh uṣūluhā wa-qawā 'iduhā*. tara : Rashīd ibn Mālīk. al-Jazā'ir : Manshūrāt al-Ikhtilāf].

الأصفهاني، الراغب. (1992). *مفردات غريب القرآن* (ط4). تح: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة.

[al-Aṣfahānī, al-Rāghib. (1992). *mufradāt Gharīb al-Qur'ān* (ṭ4). ṭh : Muḥammad Sayyid Kīlānī. Bayrūt : Dār al-Ma'rifah].

إيكو، أمبيرتو. (2000). *التأويل بين السيميائيات والتفكيكية* (ط1). تر سعيد بنكراد. بيروت: المركز الثقافي العربي.

[Īkū, awmybrtw. (2000). *al-ta'wīl bayna al-Simīyā 'īyāt wāltfkykyh* (ṭ1). tara Sa'īd Bingarād. Bayrūt : al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī].

البغدادي، عبد القادر. (2008). *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب* (ط3). بيروت: دار صادر.

[al-Baghdādī, 'Abd al-Qādir. (2008). *Khizānat al-adab wa-lubb Lubāb Lisān al-'Arab* (ṭ3), Bayrūt : Dār Ṣādir].

بنكراد، سعيد. (2005). *السيميائية والتأويل مدخل لسيميائيات ش. س بورس* (ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

[Bingarād, Sa'īd. (2005), *al-sīmīyā' wa-al-ta'wīl madkhal lsymyā'yāt Sh. S bwrs* (ṭ1), al-Dār al-Bayḍā' : al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī].

بن مالك، رشيد. (2000). *مقدمة في السيميائية السردية*. الجزائر: دار القصة للنشر.

[ibn Mālik, Rashīd. (2000), *muqaddimah fī alsymyā'yh al-sardīyah*, Dār al-Qaṣabah lil-Nashr, al-Jazā'ir].

تاويريت، بشير. (2008). *مناهج النقد الأدبي المعاصر* (ط2). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[tāwryryt, Bashīr. (2008). *Manāhij al-naqd al-Adabī al-mu'āṣir* (t2) al-Qāhirah : al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb].

الجاحظ. (1948). *البيان والتبيين* (ط3). تح: عبد السلام هارون. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

[al-Jāhiz. (1948). *al-Bayān wa-al-tabayīn* (t3), tḥ : 'Abd al-Salām Hārūn. al-Qāhirah : Maṭba'at Lajnat al-Ta'līf wa al-tarjamah wa al-Nashr.]

الجرجاني، عبد القهار. (1984). *دلائل الإعجاز في علم المعاني* (ط3). تح: محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي.

[al-Jurjānī, 'Abd al-Qahhār. (1984). *Dalā'il al-i'jāz fī 'ilm al-ma'ānī* (t3). tḥ : Maḥmūd Muḥammad Shākir. al-Qāhirah : mktbtalkhānjy.]

الجرجاني، عبد القهار. (1988). *أسرار البلاغة* (ط3). القاهرة: دار المنار .

[al-Jurjānī, 'Abd al-Qahhār. (1988). *Asrār al-balāghah* (t3). al-Qāhirah : Dār al-Manār].

حنون ، مبارك. (1987). *دروس في السيميائيات* (ط1). الدار البيضاء : دار توبقال للنشر.

[Ḥannūn, Mubārak. (1987). *Durūs fī al-sīmiyā'iyāt* (T1). al-Dār al-Bayḍā' : Dār Tūbqāl lil-Nashr.]

دو سوسير، فيردناند. (1987). *محاضرات في علم اللسان العام* (ط1). تر: عبدالقادر قنيني. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

[de swsyr, fyrdnānd. (1987). *Muḥāḍarāt fī 'ilm al-lisān al-'āmm* (T1). tara : 'Abd-al-Qādir qnyny. al-Dār al-Bayḍā' : Afrīqiya al-Sharq.]

السيوطي، جلال الدين، و المحلي، جلال الدين. (2001). *تفسير الجلالين* (ط3). القاهرة: دار الحديث.

[al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, wa al-maḥallī, Jalāl al-Dīn. (2001). *tafsīr al-Jalālayn* (t3). al-Qāhirah : Dār al-ḥadīth.]

صدق، إبراهيم. (2000). *السيميائية اتجاهات وأبعاد* (ط1). الجزائر: جامعة بسكرة.

[šidq, Ibrāhīm. (2000). *alsymyā'yh Ittijāhāt wa-ab'ād* (Ṭ1). al-Jazā'ir : Jāmi'at Baskarah.]

الغدامي، عبدالله. (1987). *تشریح النص* (ط1). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

[al-Ghadhdhāmī, Allāh. (1987). *Tashrīh al-naṣṣ* (Ṭ1). Bayrūt : Dār al-Ṭalī'ah lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr .]

غيرو ، بيير. (1984). *السيميائية* (ط1). تر: أنطوان أبو زيد. بيروت: منشورات عويدات .

[ghyrw, Pierre. (1984). *al-sīmiyā'* (Ṭ1). tara : Anṭwān Abū Zayd. Bayrūt : Manshūrāt 'Uwaydāt.]

فاحوري، عادل. (1990). *تيارات في السيميائية* (ط1). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

[Fākhūrī, 'Ādil. (1990). *Tayyārāt fī al-sīmiyā'* (Ṭ1). Bayrūt : Dār al-Ṭalī'ah lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr].

القنوجي، صديق. (1978). *أبجد العلوم* (ط1). دمشق: دار الكتب العلمية.

[al-Qannawjī, Šiddīq. (1978). *Abjad al-'Ulūm* (Ṭ1). Dimashq : Dār al-Kutub al-'Ilmiyah.]

مفتاح، محمد. (1994). *التلقي والتأويل* (ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

[Miftāḥ, Muḥammad. (1994). *al-talaqqī wa-al-ta'wīl* (Ṭ1). al-Dār al-Baydā' : al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī.]

هوكز، ترنس. (1996). *البنوية وعلم الإشارة* (ط1). تر: مجيد الماشطة. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

[hwkz, Trans. (1996). *al-binyawīyah wa-'ilm al-ishārah* (Ṭ1). tara : Majīd almāshṭh. Baghdād : Dār al-Shu'ūn al-Thaqāfīyah.]

Gorlée, D.(2010) . *la semiótica triádica de Peircey su aplicación a los génerosliterarios*. Buenos Aires: editorial del cardo.

Eco, U.(2008) . *Decir casi lo mismo*. Trad: Helena Lozano Millares. Barcelona : Lumen.

Eco, U.(2018) . *tratado de semiótica general*, Barcelona: PenguinRandomHouse .

Eco, U. (1988). *Le signe*, Paris : Le livre de poche.

Eco, U.(2011) . *la estructura ausente*. Barcelona:Lumen .

Salzer, J. (1975). *Que dit mon corps ?Éducation permanente*, (28), CNAM.

Yebra, V. (1997). *Teoría y Práctica de la Traducción*. Madrid : Gredos.

Diccionario de la lengua española (.2001). Madrid : edición Espasa Calpe.

Gredos, Le petit Larousse. (2003). Paris: Editeur Larousse.

• موقع سعيد بنكراد، صفحة المؤلفات السيميائيات مناهجها وتطبيقاتها، الفصل الأول: السيميائيات وموضوعها.

<http://saidbengrad.free.fr/ar/index.htm>

[Mawqī‘ Sa‘īd Bingarād, ṣafḥah al-Mu‘allafāt al-sīmiyā’īyāt manāhijuhā wa-taṭbīqātuhā, alfṣlāl’wl : al-sīmiyā’īyāt wmwḍw‘hā. [http : // saidbengrad. free. fr / ar / index. Htm](http://saidbengrad.free.fr/ar/index.htm)]